

مفاهيم القرآن

(124) وتسمعون به وينطق بعضه ببعض" (1). لأجبنا: صحيح أن القرآن الكريم يصف نفسه بما ذكر، ولكنه يصف نفسه أيضاً بأنه نزل حتى يبينه الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وآله وسلم للناس إذ يقول تعالى: (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ) (النحل: 44). (وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِلتَّبَيِّنِ لَهُمْ الْوَسْطَى اخْتَلَفُوا فِيهِ) (النحل: 64). فقد وصف النبي صلى الله عليه وآله وآله وسلم في هاتين الآيتين، بأنه مبين لما في الكتاب لا قارئ فقط. فكم من فرق بين القراءة والتبيين؟ بل يذكر القرآن الكريم بأن بيان القرآن عليه سبحانه، فهو يبين للرسول والرسول يبين للناس، كما يقول سبحانه: (لَا تُحَرِّسْكَ بِهِ لِلَّهِ أَنْ تَكُونَ لِدَعْوِجَلَّ بِهِ * إِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ قَالُوا اللَّهُ * ثُمَّ تَتَوَلَّى الْآيَاتِ الْكَافِرِينَ) (القيامة: 16-19). إن وجود هاتين الطائفتين من الآيات في القرآن، يكشف لنا عن أن القرآن رغم وضوحه من حيث اللفظ والمعنى والظواهر، ورغم أنه منزله عن الشبهة بكتب الألغاز والأحاجي إذ أنه كتاب تربية وتزكية وهداية عامة؛ فإنه يحتاج إلى (مبين) ومفسر لعدة أسباب: أولاً: وجود المجمات في أحكام العبادات والمعاملات الواردة في آياته. ثانياً: كون آياته ذات أبعاد وبطون متعددة. ثالثاً: غياب القرائن الحالية التي كانت آياته محفوفة بها حين النزول، وكانت معلومة للمخاطبين بها في ذلك الوقت. كل هذه الأمور توجب أن يراجع من يريد فهم الكتاب مصادر تشرح هذه الأمور، وإليك مفصل هذا القول فيما يأتي: أولاً: إن القرآن كما ذكرنا ليس كتاباً عادياً، بل هو كتاب إلهي أنزل للتربية _____ 1- نهج البلاغة: الخطبة 129 (طبعة عبده).